

## تفسير البغوي

143 - قوله د : { ولما جاء موسى لميقاتنا } أي : للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام تطهر وظهر ثيابه لميعاد ربه لما أتى طور سيناء وفي القصة : إن الله وأنزل طلعة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه همام الأرض ونحو عنه الملائكة وكشط له السماء ورأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وكلمة الله وناجاه حتى أسمعه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمة ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحل موسى عليه السلام كلام ربه واستيق إلى رؤيته { قال رب أرنى أنظر إليك } قال الزجاج : فيه اختصار تقديره : أرنى نفسك أنظر إليك قال ابن عباس : أعطني انظر إليك فإن قيل : كيف سأله الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا ؟ قال الحسن : هاج به الشوق فسأل الرؤية وقيل : سأله الرؤية طنا منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا { قال } الله تعالى { لن تراني } وليس لبشر أن يطيق النظر ( إلى في الدنيا من نظر إلى ) في الدنيا مات فقال إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن انظر إليك ثم أموت أحبه إلى من أن أعيش ولا أراك فقال الله د : { ولكن انظر إلى الجبل } وهو أعظم جبل مدین يقال له زبیر .

قال السدي : لما كلام الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج بين قدمي موسى فوسوس إليه : أن يكلم شيطان فعند ذلك سأله موسى الرؤية فقال الله د : { لن تراني } وتعلقت نفاه الرؤية بظاهر هذه الآية وقالوا : قال الله تعالى : { لن تراني } ولن تكون للتأييد ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية : لن تراني في الدنيا أو في الحال لأنه كان يسأل الرؤية في الحال و ( لن ) لا تكون للتأييد كقوله تعالى { ولن يتمنوه أبدا } ( البقرة - 95 ) إخبارا عن اليهود ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة يقولون { يا مالك ليقض علينا ربک } ( الزخرف - 77 ) و { يا ليتها كانت القاضية } ( الحاقة - 27 ) والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أرى حتى يكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلم بما لا يستحيل لا يكون محلا .

قال الله تعالى : { ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترااني } قال وهب و ابن إسحاق لما سأله موسى ربه الرؤية أرسل الله الصباب والصواعق والطلعة والرعد والبرق وأحاط بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواهمهم بالتسبيح والتقديس بأصوات

عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قال : لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا موسى أصبر لما سأله قليل من كثير ما رأيت .

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال النسور فهم قصف ورجف شديد وأفواهم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة : مكانك يا بن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فهبطوا عليه فكان لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائل خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا بن عمران أصبر لما سأله قليل من كثير رأيت .

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلا حوفه خوفاً واشتد حزنه وكثير بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا بن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه .

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب لي رأني فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نار أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاويهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم : سبحان قدوس رب العزة أبداً لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رأاه موسى رفع صوته يسبح معهم ( حين سبحوا ) وهو يبكي ويقول : رب اذكري ولا تننس عبدي لا أدرى أأنفلت مما أنا فيه أم لا ؟ إن خرت احترقت وإن مكنت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم : قد أوشكت يا بن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سأله .

ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جمیعاً يقولون : سبحان القدوس رب العزة أبداً لا يموت بشدة أصواتهم فارتاج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله برحمته الروح فتنفساه وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئه القبة لئلا يحترق موسى فأقامه الروح مثل اللامة فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنت بك ربِّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحياناً من نظر إلى ملائكتك

انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى : { فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا } قال ابن عباس : ظهر نور ربه للجبل جبل الزبير وقال الصحاك : أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور وقال عبد الله بن سلام وكتب الأخبار : ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي : ما تجلى إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس [ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال : هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخت الجبل ] .

وحكى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً أي : مستويًا بالأرض قرأ حمزة والكسائي ( دكاء ) ممدوداً غير منون هاهنا وفي سورة الكهف و ( وافق عاصم في الكهف ) وقرأ آخرون ( دكاً ) مقصوراً منوناً فمن قصره فمعناه جعله مدقوقاً : والدك والدق واحد وقيل : معناه دكه الله تعالى : فنته كما قال : { كلاً إذا دكت الأرض دكاً دكاً } ( الفجر - 21 ) ومن قرأ بالمد أي : جعله مستويًا أرضاً دكاء . وقيل : معناه جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها قال ابن عباس : جعله ترا با وقال سفيان : ساخت الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي : صار رملاً هائلاً وقال الكلبي : جعله دكاً أي كسرًا جبالاً صغاراً . ووقع في بعض التفاسير : صار لعظمته ستة أحيل وقعت ثلاثة بالمدينة : أحد وورقان ورضوى وقعت ثلاثة بمكة ثور وثبيه وحراء .

قوله صلى الله عليه وسلم : { وخر موسى صعقاً } قال ابن عباس و الحسن : مغشياً عليه وقال قتادة : ميتاً وقال الكلبي : خر موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر . قال الواقدي : لما خر موسى صعقاً قالت ملائكة السموات : ما لابن عمران وسؤال الرؤية ؟ وفي بعض الكتب أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيم أطمعت في رؤية رب العزة { فلما أفاق } موسى من صعقه وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأله أمراً لا ينبغي له { قال سبحانك تبت إليك } عن سؤال الرؤية { وأنا أول المؤمنين } بأنك لا ترى في الدنيا وقال مجاهد و السدي : وأنا أول من آمن بك من

بني إسرائيل